مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الانباء

التاريخ : ١٩٩٧/٦/١٢

من ميت أبو الكوم إلى قصر عابدين

الرئيس الغز

رئيس حزب الأحرار المصري المعارض مصطفى كامل مراد يستكمل ذكرياته عن الرئيس الراحل:

السادات تحمّل سخرية العالم والمصريين لكنه حقق نصرا مفاجئا

أيدته في الذهاب إلى كامب ديفيد وهاجمته حتى أعفاني من وكالة البرلمان

أكد مصطفى كامل مراد رئيس حزب الاحرار المصري المعارض وأحد الضباط الأحرار أن السادات استطاع خداع اليهود بأنه لن يحارب لتحقيق نصر أكتوبر المجيد.

وقال في الجزء الثاني من حواره مع «الأنباء» إن كامب ديفيد كانت السبيل الوحيد أمام مصر والعرب بعدما بدأ الاتحاد السوفييتي في التخلي عن مصر في وقت بدأت فيه اسرائيل تسليح جيشها باحدث ما وصل اليه العلم الحديث بدعم من الولايات المتحدة الاميركية.

واضاف مصطفى كامل مراد: انني عارضت السادات كثيرا وهاجمته الى حد اثارته وانفعاله حتى أنه رفض الدستور الجديد الذي اعددته واقالني من منصبي كوكيل للبرلمان.

واوضح انه كان شاهدا على ميلاد الجماعات الاسلامية بدعم من السادات والحكومة، وذكر ان المهندس عثمان احمد عثمان كان اول المساندين والداعيمن لها.

وفيما يلي نص الحوار :

ولكن ماذا بعد ان عقد البرلمان جلسته .. ترى ما الذي حدث فيها؟

وفر وزير الحربية طائرة لجمع أعضاء مجلس الشعب من محافظات مصر لم تمض ثلاث ساعات الا واجتمع بالفعل اكثر من ثلثي الاعضاء، وبدأ البرلمان جلسته التي ترأستها - باعتباري نائبا عن رئيسه الذي تم التحفظ عليه -

بعد مواجهة مع كمال الحناوي وكيل المجلس الذي حاول الدخول، وهو معارض للسادات ومع مراكز القوى اجبرته على الخروج بعد اشتباك مع عبد الفتاح عزام، وتحولت الجلسة إلى مقاضاتهم بعد ان كانت كما رسم لها ستتحول لمحكمة تتهم السادات بالخيانة والتواطؤ مع القوى الاستعمارية، ووافق البرلمان على اسقاط عضوية الـ ١٣ عضوا بعد ان كان مخططا ان يخرج الناس في مظاهرات عقب صلاة الجمعة تطالب بإسقاط السادات.

ومن المواقف التي لا انساها في هذا اليوم، ما تعرض له النائب «أحمد طه» من ضرب بسبب رفضه التوقيع على القرار باعتبار ان هذا مخالفا للقانون حيث يجب أن يكون هناك تحقيق معهم يؤكد هذا الاتهام. ولم يعبأ الحاضرون - أمام المؤامرة - بهذه الاجراءات.

ولن أنسى ايضا الشعور بالفزع عندما تحولت برامج التلفزيون الى «مارشات عسكرية» لفترة طويلة، واختلطت علي الأمور فلم أكن اعرف من المتحدث بعدها السادات ام احد اعضاء مراكز القوى؟

وجاءني شعور بأن قرار اعتقالي قد قرب وأنا داخل البرلمان.

ولكن ظهر السادات اخيرا ليروي للشعب تفاصيل المؤامرة ضده، وقتها شعرت بالفخر وقدرت دوري التاريخي في حياة مصر المعاصرة، والذي ازعم بانه غير الكثير من ملامحها بعد ذلك.

رغبة الرئيس

وبعد ذلك؟

جاء الوزراء إلى مجلس النواب واجتمعوا معا وبرغم اختيار الاعضاء لي وبالاجماع رئيسا لهم فقد احترمت رغبة الرئيس السادات في اختيار حافظ بدوي رئيسا للمجلس، واكتفيت بمنصب وكيله بعد ان قال لي حافظ بدوي: انت احق بهذا المنصب مني فهو كبير علي.

ولم تمر دقائق بعد هذا الاجتماع حتى ذهبت إلى منزل الرئيس السادات - الذي حدد اقامة كل عناصر مراكز القوى بعد تولية ممدوح سالم منصب وزير الداخلية - وقام السادات من مقعده ليعانقني ويقبلني مرددا «حاجة عظيمة .. ده عمل وطني كبير».

السادات ليس ضعيفا

ما رأيك فيما تردد عن ان السادات كان ضعيفا في بداية عهده إلى الحد الذي جعل باقي زملائه يعتبرونه مرحلة انتقالية تنتهي بتركه للسلطة؟

برغم ما حدث من مؤامرات تجاه السادات منذ الشهور الاولى لتوليه الحكم، فإنه لم يكن ضعيفا بعكس ما تردد الشائعات السائدة في الحياة السياسية المصرية، خاصة بعد حسم صراعه مع رجال عبد الناصر لصالحه، وهو ما اتضح في حينه من التفاف معظم فاعليات العمل السياسي والنظام حوله هو باعتباره ممثلا للشرعية التي اختارها الشعب، ولم تلتف هذه الفعاليات حول خصومه.

فالنظام بدأ ثابتا اذ تجاوز في فترة لا تتعدى ٤ سنوات محنة الهزيمة التي المت بمصر والدول العربية بأسرها ثم فجيعة وفاة عبد الناصر، وتجاوز محنة الصراع بين اطرافه باقل خسائر على الاطلاق.

إذن بماذا تفسر تفجر المظاهرات ضده منذ نهاية عام ١٩٧١؟

كانت قضية المواجهة مع اسرائيل اهم القضايا التي كانت تؤرق السادات وتزيد من معارضيه خاصة في القطاعين الطلابي والعمالي حيث بدا ان الرئيس امام الشعب ليس على مستوى هذه المواجهة او انه غير جاد او قادر عليها ان اراد، خاصة بعد ان انتهى عام الحسم دون ان تحسم فيه اي معركة، وكثيرا ما شهدت السادات وقابلته في تلك الفترة في بيته حيث اعرب لي اكثر من مرة عن مرارة شعوره ازاء هذه النظرة التي يجدها عند معظم فئات الشعب الذي لم يدرك ان السادات استخدم جميع وسائل الخداع والتمويه ليخفي عن العدو التوقيت الحقيقي للمعركة، حتى ان الاسرائيليين وبرغم توافر المعلومات لديهم ان مصر توشك ان تهاجم اسرائيل في اكتوبر ١٩٧٣، فإنهم لم يصدقوا تلك المعلومات لفرط ما استخدمه السادات معهم من وسائل للخداع.

صانع الحرب

يرى بعض المحللين العسكريين ان مصر كانت تستطيع الحصول على مكاسب اكثر من حرب اكتوبر عبر مزيد من الهجوم، لولا موالاته للولايات المتحدة التي جعلته يتجه نحو التساهل وشبه الاستسلام، بقبوله وقف اطلاق النار ما رأيك؟

لم يتوقف السادات منذ توليه حكم مصر عن اعداد الجيش وحشد مواردها للمعركة، تارة خفية، وتارة اخرى بطريقة علنية، وكان يدلي بتصريحات متناقضة اثارت سخرية الاعداء، حتى ان كتاب مصر كتبوا عريضتهم المشهورة التي اتهموه فيها بالتخاذل عن تحرير الارض.

وفي خضم هذه الظروف لم يتوقف السادات عن شراء السلاح او تدريب القوات.

فالسادات بلا شك صانع استعدادات حرب اكتوبر، وهو الذي اختار مساعديه من القادة لتنفيذها، ولو كان السادات متخاذلا ما أكمل مشوار عبد الناصر في شن حرب التحرير

ضد قوات الاحتلال، اما غير هذا من الآراء فيعد قلبا للحقائق، وخلطا للاوراق الموضوعية لاسباب شخصية او عقائدية.

والا كيف عبر الجيش المصري قناة السويس وهزم الجيش الاسرائيلي برغم تحصنه في خط بارليف؟ وكيف توغل لاكثر من ١٠ كيلومترات بعد دخوله معارك عنيفة مع العدو اثبتت قدرة الجيش المصري على مواجهة الاسطورة الاسرائيلية ونظريته ـ الذراع الطويلة ـ وهو ما احدث تغييرا واسع النطاق في نظرة وتقييم اسرائيل والعالم للقدرة المصرية.

وكان الميزان في صالح مصر، والمبادرة المسلحة في يدها واستمر الجيش المصري في تقدمه ملحقا الخسائر بالجيش الاسرائيلي، إلى ان حدثت الثغرة، وهي لم تكن ـ كما يشيع البعض ـ لعبة تلفزيونية، بل وكما يشير العسكريون تطورت إلى ان اصبحت عبورا اسرائيليا كاملا إلى الضفة الغربية للقناة لآلاف الجنود ومئات الدبابات، وساعد الهجوم الاسرائيلي على النجاح ـ في هذا الصدد ـ مبادرة الولايات المتحدة إلى مد جسر جوي من احدث الاسلحة وآلاف من المتطوعين. في الوقت الذي بدأت قوات الدفاع الجوي المصري تواجه صعوبات بعد تاخر وصول المزيد من اسلحتها وذخيرتها لو ارادت التقدم في سيناء للتصدي للطائرات الاسرائيلية.

ومن هنا تغير موقف السادات الذي وافق على وقف اطلاق النار وقال للرئيس السوري حافظ الاسد ـ في رسالة علنية ـ انني احارب اميركا الآن وهذا لا قبل لنا به. وطالب اميركا وروسيا بالتدخل لايقاف تقدم الثغرة الاسرائيلية واستجاب الروس بمناورة سياسية فاعلنوا انهم سيرسلون قوات سوفييتية لاجبار اسرائيل على احترام قرار مجلس الامن بوقف القتال، فاسرع الاميركان باعلان حالة التأهب الذري، فكانت النتيجة ان التقى ممثلو الدولتين في موسكو، حيث تم الاتفاق على ضرورة وقف القتال.

امام كل هذه الحقائق لم يكن امام السادات بد غير التفاوض عبر استثمار الانتصار الجوهري للجيش المصري في انتزاع اكبر مساحة من ارض سيناء، وبالفعل تم انسحاب جيش الثغرة الاسرائيلي إلى الخلف ١٠ كيلومترات.

فهل نسمي هذا تواطؤا من قبل السادات وتخاذلا من صاحب قرار الحرب الذي تحمل كل آثار وتداعيات القرار في حالة فشله؟

ولو فشل السادات هل كان سيبقى، سؤال اطرحه على المشككين في حرب اكتوبر ونتائجها العظيمة، التي راح من اجلها دماء طاهرة من شهداء مصر.

كنت المعارض الوحيد الذي وافق على معاهدة كامب ديفيد وقبلها زيارة السادات إلى القدس عام ١٩٧٧، وكنت رفيقه في تلك الرحلة التاريخية، التي لن ينساها العالم بأسره، ما أسباب تأييدك لها؟ وسر مساندتك للسادات فيها؟

اقول بصدق ان السادات لم يكن امامه خيار آخر، فبعد شهور من اتفاق الفصل الثاني الذي تحررت ارض سيناء فيه حتى المضايق المشهورة، وتجمد الموقف عند هذا الحد اعاد الجيش الاسرائيلي تسليحه بأحدث الاسلحة الاميركية وضمن تحالفها معه. ثم بدأ عجز الاتحاد السوفييتي وانسحابه خطوة خطوة من العلاقة مع مصر ازاء ما كان يتردد عن تصفية نظامها للناصرية.

هنا أيقن السادات ان دخول مصر حربا جديدة لتحرير باقي سيناء يمثل مغامرة غير مأمونة العواقب. فوجد السادات حلا سياسيا بالاعتراف باسرائيل والتوجه الى برلمانها مؤكدا رغبته الحقيقية في السلام معها، وهو الامر الذي احدث هزة في العالم كله بما فيه اسرائيل نفسها، وهو ما استثمره السادات لاستعادة كل الاراضي المحتلة، بما فيها الجولان والضفة.

خلال السفر

خلال سفرك مع السادات بماذا شعرت وانت تتجه إلى الدولة صاحبة الصراع الدموي بينها وبين العرب؟

برغم اقتناعي بالدلائل التي ذكرتها فإن انتفاضة عاطفية ازاء عروبتي واسلامي قد انتابتني، ووجدتني اقول للرئيس السادات: ياريس إلى اين ستذهب بنا، الجامعة العربية قد تنهار، والعرب سيقاطعون مصر.

ورد السادات بصوت خافت: ما الحل يا مصطفى ان الحل الآخر هو الحرب وانا ليس عندي سلاح يكفي والجيشان الثاني والثالث في الضفة الشرقية بعيدا عن الكيلو ٩٦.

ثم سكت مرددا بنفس الخفوت «لابد من السلام».

والآن - بعد مرور نحو ٢٠ عاما على الزيارة التاريخية اثبتت نظرية السادات صحتها - وكل العرب الآن يبحثون عن كامب ديفيد جديدة، ولكنهم لا يجدونها، لانهم اعتبروا ما فعله السادات خيانة لهم وللقضية الفلسطينية، برغم انهم لم يقدموا وقتها عام ١٩٧٧ الا بديل تحقيق السلام لا الحرب.

فالسادات الذي اعتمد سياسة الصدمات الكهربائية كان صاحب رؤية شاملة واضحة وتفكيره غير تقليدي، وكانت روح المغامرة جزءا من حساباته الذاتية.

لكل هذه الاسباب وافقته على كامب ديفيد وسافرت معه الى اسرائيل.

زعيم المعارضة

برغم تاريخك الوطني يردد بعض المحللين ان السادات هو الذي جعل منك زعيما للمعارضة في مجلس الشعب لأنك لم تهاجمه بشراسة كشخصيات اخرى مثل خالد محيي الدين.

و يخلص البعض الآخر الى انك كنت وسيلة لتجميل وجه النظام الديمقراطي دون تحقيق ديمقراطية حقيقية. فما ردك؟

هذا رأي غير صحيح لان السادات عندما قدم خطة تطوير الاتحاد الاشتراكي في اتجاه الديمقراطية، فإن هذا كان مبدأ من مبادئه، ولم يفعله ارضاء لي او لغيري. ومن ناحية اخرى فإنه لم يأخذ برأيي، عندما اعلن قيام المنابر - الاحزاب السياسية بعد ذلك - حيث اقر على من يريد تشكيل اي منبر ان يجمع توقيع ١٠٠ من اعضاء اللجنة المركزية واعضاء مجلس الشعب، بعد تقديم برنامج سياسي كامل.

وهو ما نجحت فيه انا وخالد محيي الدين واستقر الامر على ظهور ثلاثة منابر اليمين بقيادتي والوسط وتولاه السيد ابو وافية واليسار بقيادة خالد محيي الدين.

واعلن المنبر الاشتراكي الديمقراطي في ١٢ اكتوبر ١٩٧٥، وفي الوقت نفسه قدمت من الاسكندرية واعلنت منبر الاحرار وتبعني خالد محيي الدين، وفي عام ١٩٧٦، وبعد اجراء الانتخابات البرلمانية اعلن السادات قيام الاحزاب واشار في مجلس الشعب الى ان العرف جرى على ان الحزب التالي لحزب الاغلبية يتولى زعامة المعارضة في البرلمان وكان الاحرار - الذي حصل على ٢٣ مقعدا - التالي بعد حزب مصر فتوليت زعامة المعارضة في اول سابقة من نوعها لاصبح اول زعيم للمعارضة بعد ثورة يوليو.

وهنا أؤكد ان السادات وضع اللبنة الاولى - وهو امر لا شك فيه - في طريق الديمقراطية والحرية السياسية التي تسير فيها مصر حتى الآن بخطى ثابتة وبالتدريج.

اختلاف الكم والنوع

اذن ما رأيك ازاء ما يقال ان الفرق بين ديمقراطية عبد الناصر وديمقراطية السادات اختلاف في الكم، وليس اختلافا نوعيا حيث استبدل الاتحاد الاشتراكي بحزب مصر، ثم الحزب الوطني الديمقراطي واستبدل تحالف قوى الشعب بالمجالس المحلية، وغيرها من الاستبدالات التي حملت نفس الوجوه في كل هذه المراحل؟

يكفي السادات انه رفع الرقابة عن الصحف وانه انشأ الاحزاب، وترك للكتابة مزيدا من الحرية والجرأة

والجسارة بمن فيهم اليساريون انفسهم الذين اخذوا في انتقاده والهجوم عليه بشكل لا يطيقه بشر، واكبه تحسين صورة مصر لدى الغرب فظهر البلد الذي يتخذ من النموذج الحر للانتقال من حياة الحزب والاتجاه الواحد الى تعدد الاتجاهات والآراء واضفاء المزيد من الحرية السياسية.

ومن الاعمال الاخرى التي لا تنسى للسادات انه صاحب قرار الانفتاح الاقتصادي والتحول بالاقتصاد عن المركزية إلى الاقتصاد الحر، حيث اصدر في عام ١٩٧٤ وحده ١٢٤ قانونا بتغيير المسار الاقتصادي كان اخطرها القانون رقم ٤٣ لسنة ١٩٧٤، المعروف باسم قانون نظام استثمار رأس المال العربي والاجنبي والمناطق الحرة، تبعها المزيد من القرارات في الاعوام التالية، التي تعد اساسا للاصلاح الاقتصادي الحالي، في مصر وتحولها إلى نظام آليات السوق بعد الفشل الذريع الذي واجهته التجربة الاشتراكية اقتصاديا.

السادات والدين

بعيدا عن تعدد الآراء حول اخطاء السادات بالانقلاب الاجتماعي الذي احدثه عبر ما سمي بالانفتاح الاستهلاكي، فإن كل الآراء تؤكد انه لعب بورقة الدين بدعمه الجماعات الاسلامية، وهي الورقة التي اودت بحياته باغتياله على ايدي رجالها، ماذا تقول في هذا الصدد؟

نعم لعب السادات بورقة الدين، وكنت شاهدا على بدايات توجهه إلى تلك الورقة حيث جمع رؤساء اللجان والاعضاء البارزين بمجلس الشعب بعد اضطرابات عام ١٩٧٢ وعرض عليهم فكرة ابراز قوة يساندها الحكم تناوئ القوة الشيوعية، واتفق الجميع في تلك الجلسة على دعم التيار الاسلامي، في مواجهتها ويومها تبرع عثمان احمد عثمان بـ ١٠ الاف جنيه واحمد شعير بـ ٥ آلاف كنواة لهذا الدعم.

بعدها انتشرت الجماعات الاسلامية في ظل الجامعات المصرية بدعم مباشر من عمداء الكليات ورؤساء الجامعات فحصلت هذه الجماعات على مبالغ مالية لاقامة معسكرات لها كان اولها في جامعة القاهرة عام ١٩٧٢.

وبرغم ما حدث بعد ذلك من هذه الجماعات فإنني لا اعتبر دعم السادات لها من اخطائه الكبرى، لان العديد من العوامل الاخرى هي التي اضافت اليها استحلال القتل، ومبدأ الدموية، منها الايدي الاجنبية التي لا تريد لمصر خيرا، وكذلك الضغوط الاقتصادية التي تجعل الشباب يتاثر تحت اي ضغط منظم، ويضاف إلى هذا وجود تنظيمات متكاملة واكبت انتهاء الحرب السوفييتية -

الافغانية انتشرت في مختلف انحاء العالم، وليس في مصر فقط.

من هنا أؤكد ان السادات ليس مسؤولا مسؤولية تامة عن تضخم جيوب جماعات العنف في مصر.

معارض في مرات معدودة

من مجمل آرائك تبدو كأنك وافقت الرئيس السادات على مدار سنوات علاقتكم سواء عن قرب أو بعد. **أم تختلف معه مرة** واحدة، خاصة ازاء سياساته؟

اختلفت معه العديد من المرات، وهو في السلطة ابرزها عند اعدادنا لدستور ١٩٧١، حيث توليت مهمة وكيل لجنة اعداده وبعد العديد من الاجتماعات، والمؤتمرات، والاطلاع على دساتير مختلفة من انحاء العالم اعددنا دستورا جيدا ينقل مصر - من وجهة نظري لو بقي - نقلة اكثر حضارية وتنموية - ولكنه رفض هذا الدستور، وعندما حاولت مناقشته في قراره كان رده بحزم شديد: من هو رئيس الجمهورية انا ام أنت؟ وكان ردي الصمت التام.

وكان الخلاف الآخر حول حله لمجلس الشعب الذي سانده في مؤامرة مايو ١٩٧١، واردت ان يبقى، خاصة انه لم يمر عليه اكثر من عامين ونصف العام، ولكنه رفض، وكان جزائي لتعبيري عن رأيي ان رفع عني منصبي كوكيل للمجلس.

وفي مرة اخرى طلب مني السادات ان اتولى رئاسة المحكمة العسكرية باعتباري احد رجال الضباط الاحرار، ولكنني رفضت هذه المهمة حيث انني اخترت طريق السياسة وممارستها فاعطاها لحافظ بدوي، ومن هذه المرة ادرك السادات انني شخص غير طيع في كل الاحوال، ومن الممكن ان اصبح عنيدا في احوال كثيرة.

اللقاء الأخير

هل تذكر آخر اقاء بينك وبين الرئيس السادات قبل رحيله؟

كان قبل رحيله بنحو اسبوعين وشهد آخر خلاف بيننا بعد قيامه بحملة سبتمبر الشهيرة التي اعتقل فيها معظم رموز القوى الوطنية في مصر من مختلف الاتجاهات.

وقابلته هذه المرة بصعوبة شديدة، فكان الرئيس السادات قد تغير بعد حملات المديح التي تلقاها طوال فترة رئاسته عبر وسائل الاعلام المصرية والاجنبية الى الحد الذي جعله يشعر انه فوق حدود النقد، لذلك لم يتحمل ان ينتقده احد.

يومها قلت له: مالك يا ريس عصبي إلى هذا الحد؟

فرد قائلا : انهم ناس ولاد .. يشتموني.

فقلت له : كل الرؤساء والزعماء قد يتعرضون لهذا، وعبد الناصر نفسه تعرض له، انها ضريبة السلطة والسياسة.

واخذ السادات يعدد لي افضاله. في فتح ابواب الحرية السياسية واعادته للاحزاب الى خريطة مصر، وما يفعله الماركسيون معه للثأر منه، وعمله الدؤوب لصالح مصر والذي يقابل بجحود ونكران من بعض الشخصيات التي تسيء اليه ولاسرته بانتقادات غير موضوعية وبعيدة عن السياسة.

يومها خرجت من عند الرئيس السادات وقد زاد تشاؤمي ازاء حكمه لمصر بعد ان وصل إلى هذه الحالة النفسية التي لم ارها عليه في اسوأ الظروف واحلكها.

وتحقق ـ مع الأسف ـ ظني واغتيل السادات بين جيشه بأيدي بعض المتطرفين.